(١٣)
لا لضرب العراق

● **الخطبة الأولى:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

الزمن الأمريكى:

قدر علينا أن نعيش حتى ندرك الزمن الأمريكى، والزمن الصهيونى، ولا أدرى أيهما هو الأصل والآخر هو التبع؟ هل الصهاينة تابعون للأمريكان، أم الأمريكان تابعون للصهاينة؟ أم ذاب أحدهما فى الآخر كما يذوب الملح فى الماء، أو تزوج أحدهما الآخر زواجاً كاثوليكياً لا طلاق فيه، وأيهما الزوج وأيهما الزوجة، أو اختلط أحدهما بالآخر كما تختلط أجزاء المركب الكيماوى حينما تصبح الأشياء شيئاً واحداً؟

عشنا حتى أدركنا الزمن الأمريكى والزمن الصهيونى.. زمن السامرىّ.

كان الناس فى القرن الماضى يعيشون تحت سلطان قوتين متنازعتين متنافستين، وكان اختلاف الأقوياء رحمة للضعفاء. كان سلفنا يقولون: اللهم اشغل الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بينهم سالمين.

أمريكا ومنطق الجبروت:

ولكن المصيبة حينما يوجد ظالم واحد يستكبر فى الأرض بغير الحق، ولا يجد قوة تعارضه، ولا يجد أحداً يجرؤ أن يقول له: لم؟ ناهيك أن يقول له: لا.

هذه هى مشكلة عالمنا اليوم: أن هناك قوة واحدة تنفرد بالعالم، وتريد أن تحكم العالم كله، قوة متجبرة، متألهة في الأرض، تقول ما قال نمرود حينما حاجَّه إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك، ﴿.. **إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ** [أى نمرود] **أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ..**﴾ [البقرة: ٢٥٨]. قوة تقول ما قال فرعون: ﴿.. **مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي..**﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ..**﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿.. **أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الزخرف: ٥١].

OBEIKAN.COM

هكذا تقول أمريكا: ألست الوحيدة التى تتصرف فى العالم ولا يعارضها أحد؟

تقول أمريكا ما قالت عاد قديماً، وقد حكى الله عنهم: ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً**..﴾ [فصلت: ١٥].

تنفرد أمريكا اليوم بحكم العالم والتصرف فى العالم، وتريد أن تسوق الناس بعصاها كما يسوق الراعى غنمه. لا تريد لأحد أن يفكر برأسه، ولا تريد لأحد أن يختار بإرادته. هى التى تفكر للناس، وهى التى تختار للناس، وعلى الناس أن يسمعوا ويطيعوا.

اتخاذ الإسلام عدوا بديلا عن الشيوعية:

جاءت أحداث الحادى عشر من سبتمبر – والتى مر عليها عام أو أكثر من عام – لتعطى أمريكا الفرصة ولتمنحها المبرر، لضرب من تشاء، والعدوان على من تشاء.

ولكن هل كانت أحداث سبتمبر هى السبب الحقيقى لما يجرى اليوم؟ الواقع يقول: لا.

الذين تابعوا المواقف وكانوا يبحثون ويدرسون، عرفوا أن أمريكا من قبل سبتمبر بسنوات، وحينما سقط الاتحاد السوفيتى كانت تبحث عن عدوّ جديد، ورشح لها رجالها ومفكروها (الإسلام) عدواً جديداً!

إنها فى حاجة إلى عدوّ، تُعبىء المشاعر، وتحَشُد العواطف، وتجُند قُوى الشعب لكراهية هذا العدوّ ومقاومته.

كان الاتحاد السوفيتى هو العدو الذى قال عنه (ريغن): إنه دولة الشر. سقطت دولة الشر. فما البديل؟ قالوا: الإسلام هو البديل! هو المرشح لعداوة المستقبل! هو العدوّ المنتظر!

OBEIKAN.COM

دعوى صدام الحضارات:

وكتب الكاتبون من فلاسفة الفكر السياسى، وفلاسفة الاستراتيجية السياسية المقربين من الخارجية الأمريكية ومن السلطات التنفيذية، كتب هؤلاء عن صدام الحضارات وصراع الثقافات، وقالوا: إن فى العالم حضارات سبعاً أو ثمانياً يمكن أن يُتفاهم معها إلا حضارتين: الحضارة الإسلامية والحضارة الكنفوشيوسية - كونفوشيوس هذا فيلسوف من فلاسفة الصين القدماء، يقصدون الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية - ومن الخطر كل الخطر أن تتفاهم هاتان الحضارتان فتكونان قوة ضدنا. ولذلك ينبغى أن نتفاهم مع الحضارة الكونفوشيوسية ونقترب منها. وإذن تبقى هناك حضارة واحدة، هى الحضارة الناشزة التى تتأبى على أن تنصاع، وأن تخضع، وأن تلين قناتها، وأن تسير فى الركاب، وأن تتمسح بالأعتاب، إنها حضارة الإسلام.

وكلمة حضارة تُخفى وراءها الديانة، يقصدون بصراحة: دين الإسلام. هذا هو الدين المخوف.

ورغم أن هذا الدين فى فترة ضعف، وفترة استخذاء، وفترة هوان، إلا أنهم قالوا: إن إمكانية القوة كامنة فيه، ولهذا يجب أن نحذر هذا المارد أن يخرج من قُمْقُمه يوماً ما، إنها قوة كامنة فلا بد أن نتربص بها، ونكيد لها.

مؤامرة على الإسلام دبرت بليل:

هكذا كانوا يفكرون قبل الحادى عشر من سبتمبر.

وهناك أحد الصحفيين المعروفين: الأستاذ محمود المراغى، كتب كتاباً سماه: حرب الجلباب والصاروخ! جمع فيه وثائق وزارة الخارجية فى إبريل سنة (٢٠٠١م)، أى قبل أحداث سبتمبر بأشهر. وهناك تحضير للأعداء والخصوم المُرادين، تحضير لما جرى بعد ذلك.

كانت الفرصة تهيأ، وكان المُناخ يُعد لضربات مقبلة لهذا العدو المنتظر. سموه: الخطر الأخضر. بعد أن زال الخطر الأحمر المتمثل فى الاتحاد السوفيتى، وتقاربوا مع الخطر الأصفر وهو الخطر الصينى، تقاربوا معه وتفاهموا، بقى خطر واحد، هو: الخطر الأخضر، أى خطر الإسلام.

والحقيقة أن الإسلام ليس خطراً، الإسلام رحمة الله للعالمين، وهدايته للناس أجمعين. الإسلام لا يكون خطراً إلا على الإلحاد والاستعباد، والفساد والظلم. أما الإسلام فى ذاته فليس خطراً على أحد.

ولكنهم يريدون أن ينفردوا بالعالم وأن يحكموا العالم وحدهم، فلا يريدون أى قوة حاضرة، ولا أى قوة محتملة أن تظهر فى المستقبل.

وجاءت أحداث الحادى عشر من سبتمبر - أو أيلول - فكانت الفرصة الملائمة.

ولا نريد أن نخوض فى هذه الأحداث، ومن وراءها، ومن فعلها، فقد دناها من أول يوم، وأنكرتها فى الصحف القطرية والعربية، وفى (إسلام أون لاين) - ISLAM ONLINE - وفى هذا المسجد، أنكرنا هذه الفعلة أيا كان فاعلها، مسلماً كان أم غير مسلم، عربياً كان أم غير عربى.

أنكرنا هذا الأمر، أنكرنا الهدف، وأنكرنا الوسيلة.

أما الهدف وهو ضرب أبراج تجارية، يعمل فيها موظفون مسالمون من مختلف الأديان والجنسيات، وفيهم عرب ومسلمون، فهذا هدف غير مشروع فى ذاته، ليس هدفاً حربياً.

والوسيلة اتخاذ طائرات مدنية يركبها ركاب مسالمون، ليس لهم علاقة لا بالسياسة ولا بالحرب، ولا ناقة لهم ولا جمل، قد تكون أنت وقد أكون أنا من ركابها. اتخذوا هذه الطائرات أداة قاذفة، أو صاروخاً موجهاً ليضربوا تلك الأهداف، وهذا لا يجوز.

وأنا من سنين طويلة منذ بضعة عشر عاماً، أصدرت فتوى[1] حرّمت فيها خطف الطائرات، لأن المخطوفين لا ذنب لهم، ليس بين الخاطف وبين ركاب الطائرة أى مشكلة، هم لهم مشكلة مع حكومة ما فيريد أن يطلب منها مطالب: إفراج عن مسجونين.. عن أسرى.. عن كذا، ويجعل هؤلاء الركاب رهائن عنده، فهو يعاقب أناساً برآء بذنب أناس آخرين، والقاعدة: ﴿ **أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾

---

(١) انظرها فى: الجزء الثانى من (فتاوى معاصرة) ص (٤٩٧ - ٥٠٢).

[النجم: ٣٨]، وأن ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨]، وأن المسؤولية مسؤولية فردية.

لهذا أنكرنا أحداث الحادى عشر من سبتمبر،

ولكنا طالبنا أمريكا فى ذلك الوقت ألا تتصرف بعجلة، فإن العجلة من الشيطان، وألا تندفع وراء دافع الغضب، فقد قال رسولنا عليه الصلاة والسلام: «لا يقضى القاضى وهو غضبان»(١). لابد أن تتريث حتى تهدأ العاصفة، ويزول الانفعال، وتنظر فى الأمر بَروِيّة وأناة.

ولكن أمريكا بمنطق القوى لم تتريث ولم تتأن، وأسرعت بالاتهام، وعاقبت المتهم قبل أن تحاكمه بل قبل أن تعرفه مائة فى المائة (١٠٠٪)، إنما قالت: (بن لادن) لأنه هو المشتبه الرئيسى عندها، ولكن هذا المشتبه عاقبته، وعاقبت تنظيمه، وعاقبت دولاً أخرى منها أفغانستان. عاقبت هذا الشعب المسكين الذى قدم ما قدم من ملايين الضحايا، بعضهم شهداء وبعضهم معوقون. أصبح هذا الشعب - الذى فيه ملايين الأرامل واليتامى - عُرْضة لكل معتد. كان عرضة من قبل للاتحاد السوفيتى، وأصبح من بعد عُرْضة للعدوان الأمريكى.

دنّا أحداث الحادى عشر من سبتمبر وقلنا فى ذلك الوقت لأمريكا: إنها فرصة لتراجع فيها سياستها الخارجية وتُحَلِل لماذا حدث هذا؟ لماذا يكره الناس أمريكا فى المشارق والمغارب، وقد شاهدت أمريكا هذا بعينيها ولمسته بيديها فى مؤتمر (دربان) فى جنوب أفريقيا، وجدت العالم كله ضدها، وفى المؤتمرات العالمية المختلفة للبيئة وغيرها يخرج الناس يهتفون بسقوط أمريكا وبالعداء لأمريكا.

ألا يدفع هذا هؤلاء القوم أن يبحثوا: لماذا؟

العاقل هو الذى يهتم بهذا السؤال، بمعرفة الأسباب. العاقل لا يهتم بسؤال: ماذا؟ ومن ذا؟ وكيف؟ ولكن يهمه سؤال: لماذا؟ لابد للإنسان أن يعرف الأسباب إن كان عاقلا حتى يعالجها.

القرآن الكريم علّم المسلمين أن يبحثوا عن الأسباب إذا أصابتهم مصيبة

---

(١) سبق تخريجه فى ص (٨٤).

OBEIKAN.COM

فى حرب أو سلم. بعد غزوة أحد قال الله تعالى: ﴿ **أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ** .. ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. من أين جاءنا هذا؟ من أين هُزمنا وقدمنا سبعين من الشهداء، وقد انتصرنا من قبل فى بدر، فقتلنا سبعين وأسرنا سبعين ﴿ **قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا** ﴾، ﴿ **قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ** ﴾ ابحثوا فى أنفسكم.

أمريكا وتدخلها فى شؤون الآخرين:

ليت الأمريكان بحثوا فى أنفسهم وعرفوا هذا، وحاولوا أن يغيروا من سياستهم. ولكن الأمريكان يتصرفون بمنطق الفتوة.. (القبضاى)، لا بمنطق الرجل الحكيم، يتصرفون بالعضلات لا بالعقل. فما سألوا أنفسهم هذا السؤال، وربما سألوه وأجابوا عنه إجابة خاطئة، واتهموا العالم ولم يتهموا أنفسهم: أن العالم هو الذى ظلمهم.. العالم يحسدهم على ما هم فيه! وهذا ليس صحيحاً، لأن العالم قبل ذلك ما كان يكره أمريكا، بالعكس، كان الناس يتعاملون مع أمريكا معاملة طيبة، لأنها لم تستعمر البلاد كما استعمرتها بريطانيا أو فرنسا أو إسبانيا أو غيرها من الدول، كان الناس يتصرفون معها تصرفاً طبيعياً.

ولكن حينما أرادت أن تتدخل فى شؤون الناس، وأن تفرض على الناس ما تريد، وأن تجعل الناس عبيداً لها، هناك كرهها الناس.

الناس يكرهون التسلط، ويكرهون الظلم، ويكرهون الاستكبار فى الأرض بغير الحق، يكرهون كل جبار عنيد ﴿ **وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ** .. ﴾ [إبراهيم: ١٥، ١٦].

لم تبحث أمريكا: ما الذى جعل مجموعة من الشباب يقومون بهذا العمل إن كان هذا صحيحاً ويقينا؟ لم تبحث لأنها فى غنى عن هذا البحث.

هى تريد أن تؤدب العالم كله بقوتها الباطشة.. بطغيانها، هذا الطغيان الذى حدثنا القرآن عن سببه حين قال: ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ** ﴾ [العلق: ٦، ٧]. ليس الاستغناء سبباً فى الطغيان، فقد يكون الإنسان غنياً ولا يطغى على أحد. قد يكون (الغنى الشاكر) كما كان كثير من الصحابة

الأخيار مثل عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، ونعم المال الصالح للرجل الصالح. الخطر ليس فى الغنى، ولكن فى رؤية الإنسان نفسه مستغنيا عن الآخرين، على حين يحتاج الآخرون إليه، هذه الرؤية المغرورة هى سبب الطغيان. وهى سبب طغيان أمريكا.

لماذا تريد أمريكا غزو العراق، وضرب العراق؟ تقول أمريكا أنها تضرب العراق لمصلحة العراقيين أنفسهم، لإنقاذهم من هذا الحكم المستبد المتسلط، من حكم صدام حسين.

فهل هذه الدعوى صحيحة؟ كلا. لقد أيدوا صداما من قبل فى حربه لإيران، وأمدوه بما أمدوه به لضرب الثورة الإسلامية، ولماذا صدام وحده، وهناك طغاة كثيرون يحكمون العالم العربى والعالم الإسلامى، وبينهم وبين أمريكا علاقات حميمة، فلماذا التفريق بين المتساويين؟!

المطامع الأمريكية فى العراق:

الواقع أن أمريكا تريد أن تضرب العراق لهدف واحد: إنها تريد تدمير القوة العراقية، قوة الجيش العراقى وقوة الشعب العراقى.

العراق يملك قوة لها اعتبارها: قوة عسكرية وقوة علمية. العراق استطاع فى سنواته الماضية أن يؤسس قاعدة علمية متطورة، حتى قال الغربيون: إن العراق يستطيع فى سنة أو أقل أن يُنشىء قوة نووية.

فهم يريدون تدمير هذه القوة. لحساب من؟

إن هذا كله لحساب إسرائيل، لحساب الصهيونية، لخدمة الكيان الصهيونى وحماية الكيان الصهيونى، لا لشىء آخر. ليس هذا حباً فى الكويت، ولا حباً فى الخليج. وإنما هو حماية لهذا الحليف، أقول: حليف؟ هو أكثر من حليف. الشريك؟ هو أكثر من شريك. قلت: إنه اختلاط كاختلاط المركب الكيماوى بين أمريكا وإسرائيل. فأمريكا هى إسرائيل، وإسرائيل هى أمريكا!!

هذا ما تريده أمريكا. تريد أن تدمر القوة العراقية لمصلحة إسرائيل.

ومن هنا يجب أن نعلم هذه الحقيقة: المقصود ليس صداما. نحن لسنا مع صدام ولا مع حزب البعث، ووقفنا ضده أيام غزو الكويت. ولكنا مع الشعب

العراقى، نحن مع الوطن العراقى، نحن مع هذا الجزء الغالى من أوطاننا ومن أمتنا، نحن ضد الظلم والجبروت المستكبر فى الأرض بغير الحق.

نقف مع الشعب العراقى ونقول لأمريكا: لا.

ويجب أن يقول العرب لأمريكا: لا.

ويجب أن يقول المسلمون جميعاً لأمريكا: لا.

ويجب أن يقول الشرفاء والأحرار فى العالم كله لأمريكا: لا.

يجب أن نقول لأمريكا التى تريد أن تضرب العراق وتدمر العراق: لا، ثم: لا، ثم: لا.

هذا ما يجب علينا عرباً ومسلمين وأحراراً فى العالم.

لا يجوز أن ندع أمريكا تضرب العراق، والله لو ضربت العراق وكان لها ما أرادت، فإنها ستضرب بعد ذلك غير العراق، والمثل العربى يقول: إنما أُكلت يوم أُكل الثور الأبيض.

حينما خان الثور الأسود صديقه الثور الأبيض وفرط فيه، وترك الأسد يأكله، لم يكن يعلم أن الأسد سيأكله بعد ذلك، وقد كان. وحينما هجم عليه قال له: إنما أُكلت يوم أُكل الثور الأبيض وسكتُ عليه. لو كنت أنا والثور الأبيض وقفنا بقروننا ننطح وندافع ما جرأت علينا.

نحن نستطيع أن نفعل الكثير إذا تجمعت القوة، إذا وقفنا صفاً واحدا (كالبنيان المرصوص يشد بعضنا بعضا)[1]، وقلنا لأمريكا: لا. وهذا هو الواجب علينا بحكم الدين، وبحكم القومية، وبحكم المصلحة، وبحكم المصير المشترك، أن نقول: لا، ثم: لا.

لا يجوز أن نفرط فى هذا الأمر، وإلا كان الدور علينا بلداً بعد بلد، ووطناً بعد وطن، وحاكماً بعد حاكم.

أمريكا ليس لها أصدقاء، والغرب كله، قال أحد فلاسفتهم يوما: ليس لنا عداوات دائمة ولا صداقات دائمة، ولكن لنا مصالح دائمة.

---

(١) سبق تخريجه.

OBEIKAN.COM

أمريكا كانت صديقة لفصائل الجهاد الأفغانى، وكانت صديقة لهؤلاء الأفغان العرب الذين كونوا (القاعدة) بعد أن طُردوا من بلادهم، وأصبحوا مجرمين فى نظر أوطانهم، كانت صديقة لهؤلاء ثم انقلبت عليهم.

وأمريكا كانت صديقة لصدام حينما كان يحارب إيران، وكان لها هدف فى ضرب إيران، وإضعاف إيران وقطع الطريق على هذه القوة النامية، ثم خاصمت صدام بعد ذلك.

هؤلاء ليسوا أصدقاء حقيقيين، فقد كانوا أصدقاء لبلاد الخليج، وأصدقاء للملكة العربية السعودية، وأصدقاء لمصر، والآن أصبحنا نراهم يديرون لهم ظَهْر المجن. وحتى لو كانوا أصدقاء فالشاعر العربى يقول:

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضرة

وخصوصاً مثل هذا الصديق الذى لا تقوم صداقته على عواطف حقيقية، ولا على مودة حقيقية، وإنما هو صديق مصالحه.. صديق منفعته، ومثل هذا لا يعتمد عليه أبدا.

واجبنا نحو العراق:

إننا نقف مع الشعب العراقى، نقف معه بأنفسنا، ونقف معه بأموالنا، ونقف معه بدعائنا، ونقف معه بقلوبنا.

نقف مع الشعب العراقى لأنه منا ونحن منه.

لا نوافق على كثير من سياسات الرئيس العراقى، ولكن هذا شىء، وضرب العراق شىء آخر.

حينما يُضرب العراق هل سيضرب صدام وحده؟ ستضرب البُنْية التحتية للشعب العراقى، وتُضرب القوة العسكرية للجيش العراقى.

وإننا لنحُيَى السياسة الحكيمة التى لجأت إليها القيادة العراقية، حينما قطعت الطريق على الدبلوماسية الأمريكية فقررت القبول بعودة المفتشين الدوليين، بلا شرط ولا قيد، ألستم تقولون: إن العراق يملك أسلحة الدمار؟ تعالوا فتشوا.

OBEIKAN.COM

والعجب: إذا كان العراق يملك أسلحة الدمار، فلماذا لم تقاوموا أسلحة الدمار التى تملكها إسرائيل، وهى تملك الأسلحة الكيماوية والجرثومية، والأسلحة النووية؟ لماذ تحرمون هذا وتحللون ذاك؟

يفرضون على العالم أن يدخل اتفاقية حظر الأسلحة النووية، ولا يفرضون ذلك على إسرائيل!

إسرائيل هى الطفل المدلّل، الذى له كل شىء، وليس عليه أى شىء. له كل الحقوق وليس عليه أى واجب.

يُراد ضرب العراق لأنه يملك أسلحة الدمار! وقد دخل المفتشون العراق سنوات، وحوصر العراق، وجاع الشعب العراقى، ومات الآلاف بل ربما الملايين من أبناء الشعب وأطفال الشعب طوال تلك السنوات، وقرر المفتشون أن العراق تخلص من أسلحة الدمار عنده.

ومع هذا الأمريكان لم يكتفوا بهذا القرار، وقالوا: إنه لا بد من ضرب العراق! هذه هى سياستهم.

إن قضية أسلحة الدمار، أو قضية حقوق الإنسان هى تعلاّت، هى تكأة لأمريكا، وليست حقيقية.

أمريكا ستضرب العراق وافقت الأمم المتحدة أم لم توافق، وافق العرب أم لم يوافقوا. إن القوة الطاغية لا تنتظر أحدا، إن منطقها:

تحكم الذئب فاخضع أيها الحمل تكلم السيف فاسكت أيها القلم!

إنها تتصرف بمنطق الفتوة.. بمنطق القوى الذى لا يخشى الله، ولا يستحى من الناس.

ومثل هذا لا تردعه إلا قوة مناسبة، نرجو أن تظهر إن شاء الله.

كل ما نريده من العرب والمسلمين: ألا يساعدوا العدوان الأمريكى فى ضرب إخوانهم فى العراق، وهذا هو الحد الأدنى.

إذا لم تستطيعوا ياعرب أن تقفوا مع إخوانكم، وتدافعوا عنهم بحكم اتفاقية الدفاع المشترك والاشتراك فى الجامعة العربية، إذا لم تستطيعوا أن

OBEIKAN.COM

تحققوا عروبتكم التى تتغنون بها – دعوكم من الإسلام الذى تنتسبون إليه – فأقل ما يُطلب منكم: ألا تساعدوا العدوان الأمريكى.. أن تكفوا أيديكم عنهم.. ألا تسمحوا لهم باستخدام أرضكم ومطاراتكم وأجوائكم لضرب إخوانكم. لا بد أن تعلنوا هذا حتى يعرف الناس موقفكم.

وهذا ما قرره وزراء الخارجية العرب فى اجتماعهم بالجامعة العربية. ونريد لهذا القرار أن يكون حقيقة بالفعل، لا مجرد كلام باللسان.

لا نملك أيها الإخوة إلا أن ندعو لإخوتنا فى العراق.. لشعب العراق ووطن العراق أن يثبت الله أقدامهم، وأن ينير بصائرهم، وأن يردهم إليه رداً جميلا، وأن تكون هذه الفرصة مناسبة ليعودوا فيها إلى الله، ويستمسكوا فيها بالعروة الوثقى، ويرجعوا إلى هذا الدين، الذى هو مصدر قوة هذه الأمة، ومصدر عزة هذه الأمة، ومصدر التمكين لهذه الأمة.

اللهم هيىء لإخواننا فى العراق من أمرهم رشدا. اللهم افتح لهم فتحاً مبينا، واهدهم صراطا مستقيما، وانصرهم نصراً عزيزا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل فى قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، وردهم إلى دينهم رداً جميلا.

﴿ .. **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروا إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

OBEIKAN.COM

(١٤)
قضيّة العراق[١]

● **الخطبة الأولى:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

سر غيابى عن المنبر:

منذ آخر جمعة من شعبان لم يُقدر لى أن اعتلى هذا المنبر. ومن عادة الناس إذا تغيبت طويلاً عن المنبر لسبب أو لآخر، أن يظنوا الظنون، ويتوهموا الأوهام، ويشيعوا الأقاويل. فقال من قال: إنى منعت من صعود هذا المنبر لحساسية الموقف فى هذه الأيام.

وأحب أن أقول لكم وقد قلت ذلك من قبل: إنى منذ وطئت قدماى أرض قطر - منذ اثنتين وأربعين سنة - وأنا أعتلى المنابر للخطبة، وأجلس فى المساجد للدرس، وأحاضر فى الأندية، وأكتب فى الصحف، وأذيع فى الإذاعة، وأقدم البرامج فى التلفزيون. أقول ما أريد أن أقول حسب ما يميله على دينى وضميرى، وأتعرض للقضايا العامة دائما، بحكم تكوينى ورسالتى وفهمى للإسلام بشموله وتكامله، عقيدة وشريعة، ودياناً ودنيا، ودعوة ودولة، وبحكم إيمانى برسالة العالم المسلم، ودوره فى إيقاظ الشعب وتنويره، وتوعيته بقضايا الإسلام الكبرى، حتى لا يظل معزولاً عن الحياة وعن واجبه نحوها.

رغم هذا كله، لم يقل لى أحد فى قطر يوماً ما: لا تقل كذا وقل كذا، أو أنك تجاوزت فى كذا أو أسرفت فى كذا. لا والله، وقد عايشت أمراء ثلاثة فى قطر، لم يقل لى أحد منهم ذلك. وربما كان على بعضهم ضغوط من جهات معينة، ولكن لم يفعلوا ذلك.

هذا أقوله للإنصاف وللتاريخ.

وقال بعض الإخوة: إن الشيخ لم يقل له أحد لا تخطب، ولكنه أراد أن

---

(١) ألقيت فى جامع عمر بن الخطاب بالدوحة فى ٤ محرم ١٤٢٤هـ الموافق ٧ مارس ٢٠٠٣م.

OBEIKAN.COM

لا يحرج نفسه فى هذا الموقف الحساس، فانسحب مختاراً من نفسه ولم يصعد المنبر.

وأود أن أقول لهؤلاء الإخوة الأحبة: إنى منذ اعتليت المنبر لأول مرة فى حياتى، وأنا ابن السابعة عشرة فى قريتنا الصغيرة منذ ستين عاما، قد أخذت موثقاً مع نفسى، وموثقاً مع ربى، أن لا أقول فوق هذا المنبر إلا الحق، لا أخاف فى الله لومة لائم ولا نقمة ظالم، شعارى قول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً** ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وطالما خطبت قبل أن آتى إلى قطر وبعد أن جئت إلى قطر، ومن قبل قطر كم كلفتنى هذه الخطب فى السجون والمعتقلات، ولكن أحمد الله أن هذا لم يُثْنِ عزمى، ولم يَحْنِ رأسى.

سأظل أقول الحق ما حييت، وإن أحداً لا يملك أن يقدم أجلى لحظة أو ينقص رزقى لقمة، فالأرزاق مقسومة، والآجال محتومة: ﴿ **وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا..** ﴾ [المنافقون: ١١].

يا أيها الإخوة: ما منعنى والله إلا المرض، منذ منتصف شهر رمضان اشتدت على آلام الركبة اليسرى، ومنعتنى بعض الأيام من الصلاة، وانقطعت عن المسجد بعض الأيام فى رمضان، ثم قضيت بقية الشهر مصلياً التراويح قاعداً. ثم اشتد على - منذ أكثر من شهر - الألم أكثر فأكثر، فأصبحت لا أستطيع أن أصلى إلا بالإيماء. وأنا رضيت أن أخطب جالساً وما تعودت أن أخطب جالساً، ولكن للضرورات أحكامها[1].

أيها الإخوة الأحبة: إننا فى موقف صعب، وفى أيام حاسمة، وفى لحظات رهيبة من تاريخ الأمة. فى هذه اللحظات لا يسعنا إلا أن نوعى أمتنا بما يجب عليها.

---

(١) تعد هذه الخطبة أول خطبة يخطبها الشيخ القرضاوى جالساً على الكرسى فى مسجد عمر بن الخطاب، على أن أول مرة خطب فيها الشيخ جالساً كانت عند زيارته للجماهيرية العربية الليبية، قبل هذه الخطبة ببضعة أشهر.

OBEIKAN.COM

إننا الآن نقول من أجل قضية العراق، وهى قضية العرب الآن، وقضية المسلمين، وقضية دول عدم الانحياز، وقضية الشرفاء والأحرار فى العالم كله، حتى إن أوربا كلها نهضت لتطالب برفض الحرب ورفض العدوان على العراق. خمسة عشر مليوناً فى أنحاء أوربا – وخصوصاً فى البلاد التى تقف حكوماتها مع أمريكا فى العدوان، فى بريطانيا وفى إيطاليا وفى إسبانيا – ذهبت هذه الملايين تنادى: لا للحرب لا للعدوان.

وأعتقد أننا نحن المسلمين ونحن العرب أولى بأن نقول: لا للحرب لا للعدوان.

موقفى من قضية ضرب العراق:

سألنى من سألنى: ما موقفك فى هذه القضية؟ وأنا قد أعلنت موقفى أيها الإخوة، لم أخبىء موقفى، ولم أخرس لسانى أبدا. أعلنت موقفى فى أكثر من مرة فى برنامج الشريعة والحياة، وأعلنت موقفى فى الصحف، وأعلنت موقفى للإعلام فى بريطانيا وفى بعض البلاد الأوربية، وأعلنت موقفى لصحفيين أمريكيين زارونى هنا فى قطر وسألونى.

موقفى، موقفى معروف غير مجهول، مكشوف غير مستور، لأنه لا يمكن إلا أن يكون موقف الشرع الإسلامى من هذه القضية.

موقف الشرع من ضرب بلد مسلم:

ما موقف الشرع من غزو بلد إسلامى؟ هل يجهل أحد هذا الموقف؟ هل هذا الحكم الشرعى مجهول لأحد؟

إن جميع الفقهاء من جميع المذاهب كلهم يقولون: إذا غزا الكافر بلداً مسلماً فإن على جميع أهله أن يخرجوا وينفروا لمقاومته وطرده من ديارهم. هذا يُعتبر فرض عين على أهل البلد جميعاً، رجالهم ونسائهم، كل من يقدر على المقاومة لابد أن يقاوم. حتى قال الفقهاء: تسقط الحقوق الفردية فى هذه الحالة، فتخرج المرأة بغير إذن زوجها، ويخرج الولد بغير إذن أبيه، ويخرج الخادم بغير إذن سيده، لأنه حق الجماعة، وحق الأمة فوق حقوق الأفراد، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

OBEIKAN.COM

على أهل البلد أن يقاوموا الغزاة خفافاً وثقالاً، مجاهدين بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله. فإن قدروا على طردهم وإخراجهم من ديارهم فبها ونعمت، وإلا انتقلت الفرضية إلى جيرانهم ومن يليهم من المسلمين، فيجب عليهم أن ينضموا إليهم ويقاوموهم بما يستطيعون من الرجال والمال والسلاح، ويصبحوا جماعة واحدة فى مقاومة الغزاة المحتلين. فإن عجز من يليهم انتقل الواجب إلى من يليهم، ثم من يليهم، حتى يشمل المسلمين كافة.

وذلك أن الأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها - أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.. أمة القرآن.. أمة محمد ﷺ.. أمة الإجابة - هذه الأمة أمة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم.

تضامن الأمة فى الدفاع عن أراضيها:

المؤمنون إخوة، لا يُفرّق بينهم لغة، ولا يُفرّق بينهم إقليم، ولا يُفرّق بينهم عرق، ولا يُفرّق بينهم لون، كل المسلمين أمة واحدة، هم إخوة بعضهم لبعض.

ولذلك يجب أن يُساند بعضهم بعضا، وأن يُؤيّد بعضهم بعضا، وأن يَنْصر بعضهم بعضا، وأن يشد بعضهم أزر بعض.

ومن هنا قال النبى ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه....»[1]. لا يسلمه: أى لا يتركه ويتخلّى عنه أمام الأعداء. أنت إذا وقفت متفرجاً وأخوك المسلم يُغزى فى عقر داره فقد أسلمته وخذلته، «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»[2]. هذا مقتضى الأخوة الإسلامية، حتى قال الفقهاء فى تفاريعهم الفقهية: لو أن امرأة أُسرت بالمشرق وعجز أهل المشرق أن يخلصوها وجب على أهل المغرب أن يفعلوا ذلك. لأن المشرق والمغرب كلهم أمة واحدة، لا يفصل مشرق عن مغرب ولا شمال عن جنوب.

---

(١) سبق تخريجه فى ص (٤٠).

(٢) رواه البخارى فى المظالم (٢٢٤٤) عن أنس وتتمة الحديث: «قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ فقال: تأخذ فوق يديه».

OBEIKAN.COM

الأمة الإسلامية أمة واحدة.

أرأيتم حينما دخل الصليبيون أرض فلسطين قديماً، وأقاموا فيها ممالك وإمارات بخيانة الضعفاء والمنافقين من الحكام فى تلك الأيام، قام إخوة لنا – ليسوا من العرب – أتراك وأكراد: عماد الدين زنكى، وابنه نور الدين محمود الشهيد، وتلميذه صلاح الدين الأيوبى الكردى، هؤلاء هم الذين قاموا بالنجدة لإخوانهم العرب، لأن الإسلام هو الذى كان يحكمهم، الإسلام عربهم وعرب عواطفهم وأفكارهم ومشاعرهم.

المسلمون أمة واحدة.

حينما حدثت حادثة الخامس من حزيران – أو يونيو – سنة (٩٦٧م)، ودخل اليهود الضفة الغربية وغيرها، وحطموا الطائرات المصرية، وفعلوا ما فعلوا، واحتلوا الجولان، هنا فى قطر فتحوا الباب للتطوع، عن طريق منظمة التحرير الفلسطينية، أتدرون من كان أعظم الناس حماساً للتطوع.. لإنقاذ أرض الإسراء والمعراج والمسجد الأقصى؟ إخواننا الباكستانيون والهنود والبنغاليون وهؤلاء العجم!

الأمة الإسلامية أمة واحدة.

ولذلك فإن موقفى هو: الرفض المطلق لهذه الحرب العدوانية.

نحن فى عالم يتنادى بالسلام، فلماذا هؤلاء يتنادَوْن بالحرب؟ نحن ضد الحرب إلا لضرورة. الإسلام يرحب بالسلام، ويدعو إلى السلام، وإلى قبول السلم إذا جنح إليه العدو ﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ [الأنفال: ٦١]، إذا انتهت المعركة بغير دماء يقول القرآن: ﴿**وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾ [الأحزاب: ٢٥]. ولكن إذا كانت هناك ضرورة للقتال فلابد من القتال: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ**..﴾ [البقرة: ٢١٦].

موقفى من الحروب العدوانية:

نحن نرفض الحرب العدوانية.

سألنى بعض الصحفيين: ما رأيك فى هذه الحرب؟ قلت: أنا ضد كل حرب عدوانية، سواءٌ كانت من أمريكا.. من أوربا.. من العرب.. من المسلمين،

OBEIKAN.COM

أنا ضد أى حرب على أى شعب. فكيف بحرب صليبية عدوانية إجرامية تشنها أمريكا على شعب شقيق لنا.. على إخوة لنا لم يرتكبوا إثماً ولا عدوانا؟!

نحن ضد هذه الحرب، أنا ضد كل عدوان.

لقد وقفت ضد العدوان العراقى على الكويت، ومن فوق هذا المنبر فى أول العدوان ألقيت خطبة نارية نقلتها الصحف، وتحدثت عنها الإذاعات، وكانت إذاعة الكويت المؤقتة - خارج الكويت - تذيعها كل عدة ساعات مرة، لم يكن عندها برامج فى تلك الأوقات.

حينما كان العراق معتدياً وقفنا ضد العراق، وحينما يكون العراق معتَدًى عليه نقف مع العراق.

نقف مع العراق بكل قوة، ونقول للمعتدين: ارجعوا عن عدوانكم، ونقول للعدوانيين: لا، لن تقبلكم شعوبنا، لن تقبلكم أرضنا، ستلعنكم الأرض التى تمشون عليها، ستبصق الشعوب فى وجوهكم.

نقول هذا للمعتدين، أيا كان اسم هؤلاء المعتدين.

موقف أمريكا من جرائم إسرائيل:

ولماذا تشن أمريكا هذه الحرب؟

أمريكا شنّت هذه الحرب الكونية العالمية بدعوى أنها حرب على الإرهاب، وقالت: نحن لسنا ضد الإسلام ولا المسلمين، ولكنا ضد الإرهاب.

وأبَوْاْ أن يعرفوا الإرهاب، أو يعطوا له مدلولاً محدداً، حتى يدخلوا فى مضمونه ما يشاؤون من الدول والهيئات والجمعيات والأفراد. ولذلك أدخلوا فى قائمة الإرهاب الجماعات الجهادية التى تدافع دفاعاً مشروعاً عن أوطانها. جعلوا حماس والجهاد وحزب الله وكتائب الأقصى وكتائب أبو على وكل المقاومين والفصائل الإسلامية والوطنية - التى تقاوم هذا الطاغوت وهذا الطغيان الشارونى والصهيونى الأعمى، الذين لا يبالى بما يسفك من دماء، وما يزهق من أرواح، وما يدمر من منازل، وما يخرب من مساجد، وما يحرق من مزارع - جعلوا هؤلاء إرهابيين!

OBEIKAN.COM

أمـريكا تسكت عن جـرائم شـارون، وترى أن شـارون رجل مـسكين.. غلبان.. ضحية.. مظلوم.. يدافع عن نفسه أمام هؤلاء الذين لا يملكون شيئاً إلا أنفسهم، يفجرونها فى عدوهم!

شارون – وعصابته الإجرامية – الذى نرى من شناعاته كل يوم ما نرى ليس إرهابيا! هو مدافع عن نفسه! أما جماعات الجهاد هذه جماعات مجرمة.. إرهابية! أهذا ما يريده (مستر بوش) من تعريف الإرهاب؟

الإرهاب فى قانون بوش: الجماعات الإسلامية المدافعة عن أوطانها. إنه الجمعيات الخيرية التى تعمل لإطعام الجائع، وكسوة العارى، وعلاج المريض، وكفالة اليتيم، وإيواء المشرد، هذه الجمعيات دخلت فى دائرة الإرهاب عند هؤلاء! وهى الآن تُحارب بكل سلاح، ويُصد عن سبيلها، ولا تستطيع أن تفعل شيئاً. هذا ما نراه.

التضييق على المؤسسات الخيرية:

ذهبوا إلى الهيئة الخيرية الإسلامية – العالمية فى الكويت، وظلوا واحداً وعشرين يوماً يفتشون أوراقها، ووُضعت أمامهم الأشياء كلها مكشوفة، وعرفوا: من المتبرعون؟ وأين تذهب التبرعات؟ هذه لمسجد، وهذه لحفر بئر، وهذه لإنشاء مدرسة، وهذه لإنشاء طريق... إلخ. وبعد الواحد والعشرين يوماً قالوا: لم نجد عليكم شيئاً؟ قالوا: أعطونا ورقة بأنكم لم تجدوا عندنا ما يريب. قالوا: لا، لا نعطيكم ورقة!

أصبحت الجمعيات الخيرية لا تستطيع أن تبعث بما التزمت به إلى البلاد. جمعية قطر الخيرية كان عندها ما يقرب من خمس وعشرين ألف يتيم فى بلاد شتى.. فى أفغانستان.. فى البوسنة.. فى الهرسك.. فى الصومال.. فى غيرها، ما عادت تستطيع أن ترسل هذه المساعدات، لأن أى أموال تذهب إلى الخارج تُعتبر أموالاً ذاهبة لتمويل الإرهاب! وليَمُت هؤلاء اليتامى المساكين من أجل سواد عيون الأمريكان.

أمريكا تحارب العمل الخيرى الذى كان يجمع الأمة خيريا. الأمة ممزقة سياسياً، ولكنها كانت مترابطة خيرياً وإنسانياً بواسطة هذه الجمعيات.

هم يريدون الآن أن يوقفوا (ائتلاف الخير)[1] الذى يسعى إلى إنقاذ إخواننا فى فلسطين، يطعم جائعهم، ويؤوى مشردهم، ويعطيهم الحد الأدنى مما يكفل لهم المعيشة الإنسانية المعقولة، لا، لا يريدون ذلك، كل عمل خيرى هم ضده.

هل فى العراق أسلحة دمار شامل:

هذه الحرب ليست من أجل الإرهاب كما يقولون.

قالوا: هذه الحرب من أجل نزع أسلحة الدمار التى يملكها العراق. هل هذا صحيح؟ افترضنا أن هذا صحيح، فهل العراق وحده هو الذى يملك أسلحة الدمار فى العالم؟ كم من الدول تملك أسلحة الدمار؟ كم من الدول تملك الأسلحة النووية؟ ولكن أمريكا ترى أنها هى وحلفاءها هم الذين لهم الحق فى امتلاك أسلحة الدمار، ومن عداهم فلا يجوز لهم. أسلحة الدمار حلال على أمريكا وعلى إسرائيل حرام على العرب. إسرائيل التى تملك من الرؤوس النووية ما تملك، وتملك هذه الترسانة الهائلة، لا يجوز لأحد من العرب ولا للعرب مجتمعين أن يملكوا ولا عشر معشارها.

هل العراق يملك أسلحة الدمار؟ لقد دُمّرت أسلحة العراق خلال السنوات الماضية. وقد فتش المفتشون من قبل وفتشوا من بعد، وكثفوا النشاط وقالوا: إننا لم نجد شيئا حتى الآن.

ولكن بوش خرج بنظرية جديدة تقول: إن على العراق أن يثبت أنه لا يملك أسلحة الدمار!! المتهم عليه أن يثبت براءته!

فى كل قوانين العالم وفى شريعتنا الإسلامية: البينة على المدعى واليمين

---

(١) ائتلاف الخير: هيئة خيرية عالمية تضم أكثر من خمسين جمعية خيرية، وتقوم بالتنسيق بين المؤسسات الخيرية العاملة لفلسطين، ومشاريعها ذات طابع إنسانى تهتم بالجوانب التعليمية والصحية والتنموية والاجتماعية، وأتشرف بأن أكون على رأس هذا الائتلاف الخيرّ، وقد أثار الأعداء أسئلة وشبهاً وأباطيل حول هذا المشروع، وقد أرسل إلىّ الأخوة هذه الأسئلة، وقد أجبت عليها، وهى فى طريقها إلى إخواننا فى الائتلاف إن شاء الله.

OBEIKAN.COM

على المُدعىٰ عليه. ولكن بوش له قانونه الخاص: المتهم مُجرم منذ تُوجّه إليه التهمة وعليه هو أن يثبت أنه برىء! منطق القوة الغاشمة.

هل العراق يُحَارب من أجل أسلحة الدمار؟ لا.

هل العراق يُحَارب لأن بوش يملك قلب الأم الحنون من إشفاقه على العراق، وحنوه عليه، وحبه لشعبه، يريد أن يخلصه من ديكتاتورية حاكمه صدام حسين؟ يا لله، من أين هذه الرحمة التى نزلت عليك يا سيد بوش؟! ألم تكن أنت الذى ساندت صدام من قبل؟ أنت – أى أقصد أمريكا – الذى أمدَّته بالأسلحة الكيماوية لضرب الإيرانيين، ولضرب الأكراد فى حلبجة. لماذا تحلونه عاماً وتحرمونه عاما؟

بل أنتم أيها الأمريكان الذين أغريتموه بضرب الكويت، أنتم وراء هذه الفتنة التى أشعلت فى هذه الأمة.

أمريكا تريد أن تخلّص العراق من استبداد صدام!

لماذا إذن تسكتون عن ديكتاتوريين ومستبدين فى كثير من البلاد العربية والإسلامية؟ أنتم الذين تساندونهم سراً وعلانية، أنتم الذين تساندون الديكتاتوريات المكشوفة، والديكتاتوريات المقنعة المتسترة بالديمقراطيات الزائفة، أنتم وراء هذا.

ومن العجيب أن المعارضة العراقية تصدق هذه الأكذوبة، وتظن أن أمريكا ستحرر العراق لتعطيهم الحكم لقمة سائغة وبيضة مقشورة. هيهات هيهات أيها الواهمون.

أهداف أمريكا من غزو العراق:

أمريكا إذا غزت وإذا قاتلت، فإنما تقاتل لنفسها لا لكم. تقاتل لأهدافها هى.

وما أهدافها؟

أهداف أمريكا معروفة:

الهدف الأول: الاستيلاء على نفط العراق. تريد أن تستولى على نفطه

كما استولت على نفط بحر قزوين، و كما تريد أن تستولى على مصادر النفط فى العالم. فهى تفعل لمصلحتها، وهذا أمر لا يشك فيه الخبراء الاستراتيجيون.

الهدف الثانى: أن أمريكا تريد أن تدمر كل إمكانات العراق العسكرية والمادية والبشرية. فقد كان العراق يملك أقوى قوة عسكرية فى المنطقة العربية، وما زال هؤلاء وراءه حتى أوقعوه فى الفخ ليصدروا هذا القرار ويوافق عليه العرب جميعا بتدمير أسلحة العراق. ودمروا أسلحة العراق، ولا زالوا يدمرون.

حتى ما ليس من أسلحة الدمار الشامل مثل صواريخ (صمود ٢) يدمرونها.. ويحطمونها. والله أقول لكم: كلما حطموا صاروخاً من هذه الصواريخ كأنما كسروا ضلعاً من ضلوعى. هذه صواريخ أقيمت بعقول أبناء الأمة وبأموال الأمة فكيف تُدمر؟ ولماذا لا تُدمرّ صواريخ إسرائيل وترسانة إسرائيل؟

إنهم يريدون أن يدمروا القوة المادية للعراق.. القوة العسكرية للعراق.. القوة البشرية للعراق. فمن المعروف أن العراق كوّن قاعدة علمية بشرية طوال هذه العقود من السنوات، وهم لا يريدون أن يبقى للعراق أى قوة، ولذلك يريدون أن يلتقوا بالعلماء وأن يروا العلماء! يريدون نزع العلم من الأدمغة لا نزع الأسلحة فقط. هذا هدف.

وهدف آخر بعد ذلك: هو أن هذا كله يجرى لخدمة هدف كبير، هذا الهدف الكبير هو: امتداد الصهيونية، وتحقيق أحلام الدولة الصهيونية فى التوسع من (الفرات إلى النيل ومن الأَرْز إلى النخيل).. من العراق إلى مصر ومن الأَرْز فى لبنان إلى النخيل فى المدينة وخيبر.

لا تقولوا هذه أحلام وأوهام، فقد كان من قبلنا وكنا نحن نقول عن أحلام إسرائيل: إنها أوهام وأحلام، حتى أصبحت حقيقة واقعة.

إن هذا كله يصُبُّ فى خدمة إسرائيل الكبرى.

يا أيها الإخوة: أمريكا حينما تغزو العراق لا تغزوها من أجل العراقيين، ولا من أجل التخلص من صدام حسين. إنها ستتخلص من صدام لتحل محله جنرال أمريكى يحكم الشعب العراقى.

هذه بعض أهداف أمريكا فى منطقتنا.

OBEIKAN.COM

موقفنا من غزو أمريكا للعراق:

ماذا ينبغى أن يكون موقفنا؟

إن العالم كله وقف ضد هذه الحرب، وإن قممنا العربية والإسلامية، وقمة عدم الانحياز كلها قالت: لا للحرب. ورفضت الحرب رفضاً قاطعا. ولكنا كنا نريد من العرب شيئا أكثر من مجرد الرفض.

قالوا: نرفض الحرب، ويجب الامتناع من الاشتراك فى أى عمليات عسكرية. ولكن البعض فسروا هذا البند بأن الامتناع يعنى: أن لا نبعث بجنود يحاربون مع الأمريكان! ولكن أليس من المشاركة: أن تمهد الطريق للأمريكان.. أن تفتح لهم الموانى لبوارجهم الحربية وحاملات طائراتهم العملاقة.. أن تفتح المطارات لتنطلق منها المقاتلات وقاذفات القنابل.. أن تفتح الأرض لتضم الجيوش وتنطلق منها الجيوش والمقاتلون؟ أليس هذا من الاشتراك فى الحرب؟هذا من الاشتراك في الحرب.

كنا نريد من القادة العرب أن يقولوا لأمريكا: لا، لا نستطيع أن نقدم لكم أى تسهيلات، ولا أن نفتح لكم برنا ولا بحرنا ولا جونا، لأن ديننا يحرم علينا تحريماً قاطعا أن نعينكم على إخواننا. ديننا يوجب علينا أن نكون معهم لنحاربكم، فإذا عجزنا عن ذلك فأقل ما يجب علينا أن لا نقدم تسهيلات لغزوهم.

كان عليهم أن يقولوا هذا.. أن يقولوا: لا.

تحية للبرلمان التركى والأتراك:

حيَّ الله البرلمان التركى الذى خالف حكومته وعارض أن تكون أرض تركيا مجالاً لانطلاق الجيوش والطائرات منها.. ودلّ هذا على جذورهم الإسلامية حقًا. وإن كنت الآن أخشى عليهم لأن هناك من يقول لهم: أتريدون أن تكونوا عرباً أكثر من العرب.. ملكيين أكثر من الملك؟ إذا كان العرب فتحوا أرضهم وأجواءهم وبرهم وبحرهم فلماذا تقفون؟ لماذا تخسرون هذه المليارات؟ الأتراك كانوا سيكسبون من هذه الحرب مليارات، والعرب يقدمون هذه الأشياء

OBEIKAN.COM

مجاناً لوجه الله وسواد عين أمريكا!! بل ربما أخشى أن يساهم بعضهم فى دفع فاتورة الحساب.

حى الله الأتراك، وأرجو أن يثبت الله أقدامهم ولا يقلدوا العرب، فتقليد العرب حرام فى هذه الحالة.

كنت أريد من قادة العرب أن يقولوا لأمريكا: لا، لا نستطيع ذلك، لأن عروبتنا وديننا وإسلامنا لا يجيز لنا ذلك، ونحشى أن نفتضح أمام شعوبنا.. أن تنكشف سوءاتنا.. أن يبصق الناس فى وجوهنا.. أن يلعننا التاريخ ونكون سُبّة لأولادنا وأحفادنا حين يقولون: هؤلاء الذين ساندوا الأمريكان فى ضرب إخوانهم.. إنها لعنة التاريخ.

ما نتمناه من حكام العرب:

كنت أودّ من قادة العرب أن يقفوا هذا الموقف.

ولكن قادة العرب - إلا من رحم ربك وقليل ما هم - إذا تكلموا مع الأمريكان اصطكت أسنانهم، وارتعدت فرائصهم، وارتعشت أجسامهم، ولم يستطيعوا أن يقولوا شيئا، لم يستطيعوا أن يقولوا: لا.

كنّا نودّ أن يقول حكامنا العرب.. العرب المسلمون.. أبناء الأمة القرآنية.. أبناء خالد وصلاح الدين وطارق بن زياد.. كنّا نودّ أن يقول هؤلاء: لا، كما قال سيدنا عمر: يعجبنى الرجل إذا سيم الخسف أن يقول بملء فيه: لا.. لا.

أحب أن يتذكروا قول الله تعالى: ﴿**وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وأن يذكروا قول الله تعالى: ﴿.. **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [المنافقون: ٨]، وقوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**﴾ [فاطر: ١٠].

كنت أودّ من العرب أن يتذكروا قول شاعرهم القديم:

وكنت إذا قوم غزونى غزوتهم ... فهل أنا فى ذا يالهمدان ظالم؟!
متى تحملِ القلبَ الذكيَّ وصارماً ... وأنفاً حمياً تجتنبك المراغم

ولكن يبدو أن العرب ما عادوا يحملون قلوباً ذكية، ولا أنوفاً حمية، ولا عزائم أبية، ولا سيوفاً عربية. أصبح العرب كما قال المثل: ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل! ﴿ .. **كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ** .. ﴾ [المنافقون: ٤].

كنت أريد هذا من العرب: أن يقفوا ضد الأمريكان ومعهم الحق، والحق يقويهم ويرفع رؤوسهم. ولكن القادة لم يفعلوا ذلك.

أرسل إلى أحد الإخوة من أهل العلم فى الكويت بعد حلقتى منذ أسبوعين فى (الشريعة والحياة) يقول لى: كيف تلوم الكويت إذا قدمت هذه التسهيلات للأمريكان وبين الكويت وأمريكا معاهدات واتفاقات موقعة؟ أليس الله تعالى يأمرنا أن نفى بالعهود: ﴿ .. **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾؟ [الإسراء: ٣٤] قلت لهذا الأخ الذى التبس عليه الأمر: يا أخى إن هذه الاتفاقات إنما أقيمت على أساس الدفاع عن الكويت، أو عن أى بلد إذا مُسّ أمنها، أو اعتدى عليها، وليس فى هذه الاتفاقات أن تعان أمريكا على غزو بلد عربى مسلم. ولو كانت الاتفاقات تتضمن ذلك لكان هذا البند باطلاً شرعا. لأنه لا يجوز أن تتضمن هذه الاتفاقات والمعاهدات العدوان على بلد مسلم.

هكذا يلتبس الحق بالباطل فى أذهان كثير من الناس.

ويسألنى الكثيرون من أبناء الخليج: هل يجوز أن نشارك فى (درع الجزيرة)؟ هل يجوز أن نذهب إلى الكويت؟ وقلت لهم: لا مانع أن تذهبوا إذا كلفتم بذلك، ولكن لتذهبوا - كما أُعلن - للدفاع عن أمن الكويت الداخلى، أما أن تشاركوا فى حرب إخوانكم، فهذا لا يجوز. الإسلام يحرم المشاركة فى الظلم وفى القتل، حتى جاء فى الحديث: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقى الله مكتوبٌ بين عينيه: آيس من رحمة الله»(١). ولو بشطر

---

(١) رواه ابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه، ورمز له السيوطى بعلامة الضعف. وانظر: (فيض القدير للمناوى: ٦ / ٧٢ برقم ٨٤٧١). وذكره الألبانى فى ضعيف الجامع (٥٤٤٦).

كلمة، لا بالسلاح ولا بالدبابات ولا بالتسهيل ولا بفتح المطارات. «بشطر كلمة» قال بعض العلماء: يعنى لا يقول له (اقتل) وإنما يقول له: (اق) ولا يكمل الكلمة حتى هذه محرمة.

لا يجوز لنا أن نتجاوز حدودنا ونقف مع الظالمين. الإسلام يقوم على أمرين: لا تكن ظالماً ولا تكن عوناً لظالم.

سبب تعدى أمريكا وظلمها:

سألنى صحفى أمريكى - لقينى فى بيتى هنا فى قطر وأخذ منى لقاء طويلاً، وكان من ضمن أسئلته -: هل المشكلة فى أن أمريكا قوية جدا، أو أن العرب ضعاف جدا؟! قلت: والله، المشكلة ليست فى قوة أمريكا ولا فى ضعف العرب، المشكلة تكمن فى طغيان أمريكا. طغيان أمريكا هو الذى سبب هذا. أمريكا طغت حين اغترت بقوتها العسكرية وقوتها الاقتصادية وقوتها العلمية والتكنولوجية، ورأت أنها فوق العالم: كما قال الله تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ**﴾ [العلق: ٦، ٧]. هذا الطغيان هو الذى دفع أمريكا إلى أن تنفرد بالعالم، أمريكا تريد التألّه، تفعل ما تشاء، وتحكم ما تريد، ولا راد لقضائها، ولا معقب لحكمها. إذا كان الله تعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، فأمريكا لا تريد أن تُسأل عما يفعل، تفعل ما تريد، هذا ما تريده أمريكا.

وهذا هو الذى سيسبب زوالها، لأن عاقبة الطغيان إذا زاد وتجبر إلى الزوال، الله تعالى يقول: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا** (فرح البطر والأشر والغرور) **أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]. «إن الله يملى للظالم فإذا أخذه لم يفلته»[1] ثم قرأ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود: ١٠٢]. ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ**

---

(١) سبق تخريجه فى ص (٤٧).

OBEIKAN.COM

رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾.
[الفجر: ٦ – ١٤]

الله تعالى يمهل ولا يهمل، يملى للظالم، يستدرجه ﴿ .. سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [القلم: ٤٤ ، ٤٥]. ثم تثأر السماء، ويغضب القدر، ويتدخل تدخلاً مباشراً، ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾.
[فاطر: ١٧]

إن دموع الباكين، وأنات الشاكين – من الثكالى والأمهات.. من الأرامل والزوجات.. من اليتامى والأطفال، والديار التى خُربت – لن تذهب سدى، ولن تضيع دعواتهم هدرا، ولن تضيع شكواهم إلى الله هباء، إن الله سيسمع لهم، « .. ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتُفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: « وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين »[1].

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما يدريك ما صنع الدعاء؟
سهام الليل لا تخطى ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربى ... ويرسلها إذا نفذ القضاء

سنستعدى على الطغاة غضبات القدر، ودعوات السحر، وكل أشعث أغبر، لو أقسم على الله لأبره.

لسنا ضد الشعب الأمريكى:

إننا أيها الإخوة لسنا ضد الشعب الأمريكى. الشعب الأمريكى لمن عرفوه فى مجمله شعب طيب، ولا يعرف الأمور، يضلله الإعلام الأمريكى الذى يؤثر عليه اللوبى الصهيونى والإعلام الصهيونى. ولكنا ضد الإدارة الأمريكية

---

(١) سبق تخريجه فى ص (١٢١).

المتجبرة.. ضد هذه الحكومة العدوانية.. ضد هذا التوجه المضاد للإسلام وللمسلمين.

نحن نقف ضد هؤلاء، وندعوهم أن يراجعوا أنفسهم، وأن يكسبوا صداقة مليار وثلث مليار من المسلمين، بدل أن يكسبوا كراهيتهم وعداوتهم.

والله كنا قديماً لا نضمر أى شر لأمريكا، كانت أمريكا أقرب إلينا لأنها لم تستعمر بلادنا قديماً مثل: بريطانيا وفرنسا وغيرهما. والعرب والمسلمون ذهبوا لأمريكا للعمل، وذهبوا للهجرة، وذهبوا للتعلم، وذهبوا للاستشفاء. ولكن أمريكا اليوم غيرت موقفها.

لا تظنوا أيها الإخوة أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر هى السبب الأساسى فى هذا الأمر، لا، لقد أثبت الدارسون والخبراء الاستراتيجيون أن هذه استراتيجية أمريكية مخططة من قبل. ونشر الأستاذ محمود المراغى الصحفى المصرى – الذى يكتب فى صحف قطر هنا – كتاباً سماه (حرب الجلباب والصاروخ) أثبت فيه أن ما حدث كان مخططاً من قبل، رسائل من وزارة الخارجية إلى البنتاغون وإلى كذا كلها تثبت أن هذا كان أمراً مخططا.

إن أمريكا تريد أن تُغيّر المنطقة، هكذا قال (كولن باول) فى مجلس (الكونجرس) قال: إننا بعد الانتصار على صدام سنعيد ترتيب المنطقة ترتيباً جذرياً، سنرسم خارطتها من جديد، سنبنيها على أسس جديدة لمصلحة أمريكا!

هم يريدون تغيير هُويّة المنطقة، يريدون تغيير التعليم الدينى، يريدون أن يحذفوا من القرآن ما يحذفوا، ويحذفوا من التاريخ ما يحذفوا، ويحذفوا من أبواب الفقه ما يحذفوا. يريدون أن يحذفوا من أبواب الفقه باب الجهاد، ويحذفوا من التاريخ خالداً، وأبا عبيدة، وصلاح الدين، وعمر المختار، وكل هؤلاء. إنهم يريدون أن يغيرونا ويسلخونا من جلدنا.

ولكنا نقول لهم: هيهات هيهات، لقد انتصرت هذه الأمة طوال التاريخ، انتصرت على الروم، وانتصرت على الفرس، وانتصرت على الصليبيين، وانتصرت

على التتار، وانتصرت حديثاً على الاستعمار، وستنتصر عليكم لأنكم معتدون وظالمون، والله قد يمهل للظالمين ولكنه يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يبصر أمتنا بغايتها وطريقها، وأن يفتح لها فتحاً مبينا، ويهديها صراطا مستقيما، وينصرها نصراً عزيزا، اللهم آمين.

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

OBEIKAN.COM